مجلة المعيار ISSN :1112-4377
مجلد: 26 عدد:3(رت 65) السنة: 2022

المدينة ودورها في تغيير المنظومة القيمية لدى الأسرة.

The city and its rôle in changing the value system of the family

محمد ذرذاري[1]
جامعة عبد الحميد ابن باديس مستغانم
derderimed@live.fr

تاريخ الوصول 2021/03/18 القبول 2021/09/04 النشر على الخط 2022/04/15
Received 18/03/2021 Accepted 04/09/2021 Published online 15/04/2022

ملخص:

نحاول من خلال هذه الورقة البحثية التطرق إلى جانب من جوانب التربية الأسرية، خاصة فيما تعلق بالمنظومة القيمية التي تعتبر أهم ما تحرص الأسرة على تلقينه وبالتالي نقله للأجيال عبر عديد القنوات أو ما يعرف بالتنشئة الاجتماعية بفضل مؤسساتها المختلفة والمتعددة الوظائف، هذه الوظائف التي تتأثر بعوامل البيئة سواء البدوية أو الحضرية المتمثلة في التمدن والتحضر الذي ساهم في إعادة صياغة تركيبة الأسرة شكلا ووظيفتا، وبالتالي أثر على نوع وطريقة التربية الأسرية، مما أنتج واقعا اجتماعيا أصبحت في ظله مسألة القيم موضوعا يحتاج إلى التتبع والتقصي نظرا لأهميته في البناء الاجتماعي وبالتالي العلاقات الاجتماعية، مركزين في ذلك على ملامح التغير والثبات التي طالت بعضا من القيم التربوية والاجتماعية وكذا ما تعلق بالقيم الدينية.

الكلمات المفتاحية: الأسرة– التربية– المدينة– القيم.

Abstract:

we try with this research to talk about some aspects of family education, especially with regard to the value system, which is the most important thing that the family is keen to teach and thus to transmit it to generations through many channels (ways) or what is known as socialization by its various and multifunctional institutions, these functions that are affected by environmental nomadic or urban factors of urbanization, which contributed to reformulate the composition of the family form and function , and thus it impacts on the type and method of family education, which produced a social reality in which the issue of values has become a subject that needs to be tracked and investigated due to its importance in Social construction and therefore social relations, focusing on the features of change and stability, which affected some of the educational and social values, as well as those related to religious values .

Key words: Family , Education, City, Values.

[1] المؤلف المراسل: **محمد ذرذاري** البريد الالكتروني: **derdari@yahoo.com**

تمهيد:

تعتبر الأسرة كيانا اجتماعيا ونفسيا يُنبئ عن ملامح المجتمع ومدى حالة التوافق السائدة فيه، على اعتبار أن الأسرة تحوي أفراد يدينون بعلاقات وسلوكات داخل الأسرة تنعكس على المجتمع الكبير الذي هو في نهاية المطاف مجموعة من الأسر تزود المجتمع بمجموع القيم والمعايير التي وفقها تنظم علاقات الأفراد ومن خلالها تتحدد السلوكات وكذا الممارسات الاجتماعية سواء من طرف الأفراد أو الجماعات، ليصبح هذا النسق محور اهتمام وتتبع لكثير من العلوم والمعارف الإنسانية والاجتماعية، بل والدينية منها لأن الأسرة تشكل محمولا دينيا ارتبط بلحظة تأسيس الأسرة وفق المنظور الديني وما يمليه من التزامات، هذه اللحظة المتمثلة في الزواج كممارسة اجتماعية وكمؤسسة اجتماعية ذات بعد معنوي يؤدي فيها الارتباط بين الرجل والمرأة إلى استثمار اجتماعي وثقافي ويتجاوز ذلك حتى إلى البعد الاقتصادي لأن الأسرة كذلك هي معطى اقتصادي خاضع لمبدأ الانفاق في بعده المتعلق بالجانب المالي.

فحالة التعقد التي تحيط بالأسرة لا تكاد تنتهي نظرا لترابط بنائها وعلاقتها الوطيدة بباقي الأبنية الأخرى من جهة وكذا ترابط وظائفها بوظائف مؤسسات أخرى تترابط قيما بينها لتؤدي الوظيفة الأهم المتمثلة في الوظيفة التربوية التي تعتبر على رأس الوظائف المنوطة بالأسرة، بوصفها الوعاء الذي فيه تتم تنشئة الأفراد منذ مراحل العمر الأولى لتنطلق بهم نحو المجتمع عن طريق أساليب تربوية يتلقاها الطفل في الأسرة في شكلها البسيط، لتتحول إلى الشكل المعقد في تماهي واتساق مستمر مع التطور العمري للطفل.

كما أن الأسرة تتأثر بمختلف أوجه التغير الاجتماعي المستمر، هذا الأخير الذي يأخذ ملامح متعددة تتراوح بين التغير الايجابي الصحي الذي هو سمة ملازمة وضرورية للمجتمعات، وبين التغير الاجتماعي المرضي الذي يصنف بالتغير العنيف، والذي فيه تبدوا الهوة شاسعة بين متطلبات المجتمع واحتياجاته وحجم التغير الاجتماعي الذي لا يلبي هذه المتطلبات والاحتياجات سواء المادية منها أو ما تعلق بالمتطلبات الاجتماعية التي تعتبر أخطر من المادية بسبب أن البعد الاجتماعي يرتبط بمسألة القيم والمنظومة القيمية لأي مجتمع، وبالتالي فإن العلاقة قوية بين القيم والتغير الاجتماعي، هذه العلاقة التي تتأثر بها الأسرة على اعتبار أنها الواجهة الأساسية للتغير الاجتماعي وبالتالي الواجة الأساسية للقيم، خاصة إذا اعتبرنا أن الأسرة تعتبر صانعا وناقلا للمحمول القيمي بين الأجيال.

فالتغير الاجتماعي يؤثر بشكل مباشر على بناء ووظيفة الأسرة بحسب درجة التأثير التي تخضع لطبيعة التغير الحاصل وعوامله المختلفة، ومن بين عوامل التغير نجد عامل التحضر والحضرية التي أصبحت شكلا من أشكال انتقال الحياة من البني التقليدية إلى البنية الحديثة عن طريق الانتقال من المجتمع البدوي إلى المجتمع الحضري، انتقال على المستوى الجغرافي المادي وانتقال على المستوى الاجتماعي القيمي، كما أن الأنساق الاجتماعية ومن بينها النسق الأسري يتأثر بدرجة التحضر والمدنية مخلفا مجموعة من الآثار مست وظيفة التنشئة الاجتماعية للأسرة، من هنا نحاول الكشف عن إشكالية هذه الورقة المتمثلة في: **أي دور تلعبه المدينة في تغيير المنظومة القيمية للأسرة؟**

كما تعد هذه الورقة البحثية إعادة لقراءة في بعض نتائج لدراسة ميدانية حوتها أطروحتي للدكتوراه والموسومة ب التحضر وتأثيره على وسائل الضبط الاجتماعي التقليدي، دراسة ميدانية بمدينة آفلو، وهي اطروحة دكتوراه في جامعة الجزائر،2016/2015 للطالب محمد ذرذاري.

1-مدخل مفاهيمي:

تتناول هذه الورقة مجموعة من المفاهيم التي ارتبطت بالموضوع ككل، هذه المفاهيم التي يعتبر تحديدها جزء لا يتجزأ من محاولة مقاربة واقع التنشئة الأسرية داخل المدينة أو تأثير التحضر على وظائف الأسرة خاصة القيمية و التربوية منها وهذه المفاهيم هي على النحو التالي:

1-1-الأسرة:

تتجاذب الكثير من النظريات وحتى الحقول العلمية خاصة الاجتماعية منها مسألة تحديد ماهية الأسرة نظرا لتعقد استعمالاتها وكذا ارتباطها الوثيق والمباشر بالواقع الاجتماعي والتنوع الثقافي للدول والشعوب، مما خلف اسهامات متعدد حول ماهيتها، ومن أوجه هذا التعقد هو ارتباطها بمفهوم مشابه ومرادف للأسرة من حيث الاستعمال، والمتمثل في مفهوم العائلة الذي ارتبط استعماله مرادفا لمفهوم الأسرة، غير أن بعض الأدبيات العلمية تقيم فوارق بين كلا المفهومين ومن أوجه ذلك ما يذكره العياشي عنصر حيث يقول: لعل أكثر ما يثير الانتباه في عدد كبير من الدراسات العربية حول الأسرة هو استعمالها غير التمييزي لمفهومي الأسرة والعائلة وكأنهما يغطيان نفس الحقل الدلالي ويستوعبان نفس الحقائق الاجتماعية، فيما يميل البعض إلى استعمال أحد المفهومين بشكل حصري دون توضيح دلالة المفهوم،وبهذا الصدد يفضل الطاهر لبيب استخدام كلمة أسرة بدل كلمة عائلة لدلالتها على أصغر وحدة اجتماعية في سلم النسب وتخصيص كلمة عائلة للحديث عن الجماعة القرابية الكبيرة أو العائلة الممتدة، مثلما فعل هشام شرابي لدى دراسته للنظام الأبوي في المجتمعات العربية.[1]

وبغض النظر عن هذه التجاذبات حول المفهوم، فإننا نحاول تجاوز هذه النقطة المنهجية والتحليلية للتفرغ الى استعمال مفهوم الأسرة أو العائلة للدلالة على كلا النمطين سواء التقليدي أو الحديث، وعليه فإن الأسرة هي نظام اجتماعي يأخذ على عاتقه تنشئة الأفراد وإعدادهم لحيازة أدوار ومكانات داخل المجتمع عن طريق نقل المبادئ الاجتماعية ومنظومة القيم التي تلقن داخل الأسرة من طرف الأب والأم اللذين تربطهما علاقة في ضوء التعاليم الشرعية الحاثة على الزواج كطريق شرعي من خلاله تحدد علاقة الرجل بالمرأة بيولوجيا واجتماعيا، لتتطور هذه العلاقة في بعدها البيولوجي بميلاد الأبناء وتكوين الأسرة عدديا، حيث يعرفها إميل دوركايم على أنها ليست ذلك التجمع الطبيعي للأبوين وما ينجبانه من أولاد، بل أنها مؤسسة اجتماعية تكونت لأسباب اجتماعية، وتربط هؤلاء علاقات قوية متماسكة تعتمد عل أواصر الدم والمصاهرة والتبني، والمصير المشترك.[2]

حيث تضمن الأسرة توفير مجموعة من الاحتياجات والوظائف اتجاه الأبناء، هذه الوظائف التي تتراوح تلبيتها بين الأب والأم، فيعتبر الجانب الاقتصادي على عاتق الأب بوصفه قائما بالانفاق، ويعتمد الدور التربوي على أكثر على جهد الأم

[1] العياشي عنصر، الأسرة في الوطن العربي من الأبوية إلى الشراكة، مجلة عالم الفكر، العدد 03، المجلد 36، يناير- مارس، الكويت، ص284

[2] فرج محمد سعيد، البناء الاجتماعي والشخصية، الهيئة العامة للكتاب، الإسكندرية،1980، ص246.

بالنظر إلى الخصائص الانفعالية والوجدانية التي تحظى بها الأم مقارنة بالأب الذي يبدوا أكثر عقلانية من الأم، كل ذلك التمازج والاختلاف وكذا التفاوت في الخصائص يؤدي وظيفة واحدة تتمثل في وظيفة التنشئة الاجتماعية والتربوية من خلال تحقيق الاحتياجات النفسية والاجتماعية والثقافية وكذا الاقتصادية، لتتطور مع الزمن هذه الاحتياجات لتظهر الاحتياجات الثقافية وكذا السياسية في مرحلة متقدمة من العمر.

كما أن الأسرة تختلف ماهيتها باختلاف المجتمعات والثقافات برغم التشابه في الوظيفة البيولوجية وطرق تحقيق هذه الوظيفة على الرغم من أن الوظيفة البيولوجية هي الأخرى أصبحت معرضة للتغيير والتحريف بفعل تدخل عوامل جديدة في تحديد مفهوم الأسرة بيولوجيا،في ثقافات و بيئات أخرى غير الإسلامية.

فنجد في الثقافة العربية الإسلامية أن خصائص الأسرة تتأثر بالمعطى الديني والثقافي الذي شهدته شبه الجزيرة العربية من طغيان للخطاب الديني وتعاليمه حول الأسرة وطرق تكوينها والخصائص الواجب توفرها لنجاح الأسرة في أداء وظيفتها، كما ظهرت ملامح فرضتها الثقافة العربية متمثلة في الهيمنة الرجولية وتعزيز دور الرجل في الأسرة وفي المجتع ككل، انطلاقا من عامل القوامة المستمد من النص الشرعي ممثلا في القرآن أو السنة النبوية على الأقل من حيث تقدم الرجل ومبادرته لخِطبة المرأة وانفاق المهر لأجلها وتعهده بحمايتها والتكفل بكل شؤون حياتها وما يلحق بها من نفقات، ناهيك عن ضرورة توفير الجو المعنوي والاجتماعي من تعاطف وود اجتماعيين وكذا الاستقرار النفسي الذي يطبع علاقة الزوجين،مصداقا لقوله تعالى"وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَة إِنَ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَرُونْ"[1].

فبنية العائلة وتكوينها تستمد ملامحها من القبيلة أو العشيرة وما تفرضه من ضوابط وما تكرسه من تراتبية يكون الأفراد ملزمين بها، حيث يقول هشام شرابي "إن الصفة المميز للعائلة هي استمرار الأنماط الأساسية للروابط العشائرية في تنظيم العائلة وعلاقاتها، وبالرغم من أن سيطرة الأب على العائلة قد فقدت من شدتها، فإن وضعه فيها يبقى أساسيا ويمكننا أن نطلق على هذه العائلات تسمية العشيرة أو العائلة، لأن العشيرة والعائلة تصبحان في الواقع شيئا واحدا"[2].

1-2-المدينة:

كحال مفهوم الأسرة، تعرضت كذلك المدينة إلى الكثير من الإسهامات لمحاول تحديد ماهيتها، هذه الاسهامات التي اتخذ كل واحد منها معيار معينا بنى عليه تحديد مفهوم المدينة من المعيار الاداري إلى المعيار الديموغرافي وكذا المعيار الجغرافي وغيرها من المعايير التي حاولت أن تعطي رؤية متكاملة لخصائص المدينة ديموغرافيا وإداريا وكذا اقتصاديا، كما أن هذا المفهوم يزداد تعقيدا حين يرتبط بالثقافة أو البعد المرتبط بالممارسة الاجتماعية داخل المدينة هذه الممارسة التي تعتبر محددا مهما في تعريف المدينة من حيث هي كيان تجتمع فيه الأبعاد المادية والاجتماعية وحجم العلاقة المتبادلة بينهما من حيث التأثير والتأثر وانعكاس ذلك على الفضاء المتمثل في المدينة.

[1] سورة الروم الآية 21.

[2] هشام شرابي، مقدمات لدراسة المجتمع العربي، الدار المتحدة للنشر، ط3، لبنان،1984، ص35.

حيث يعرفها حليم بركات بالقول"المدينة تتحدد من خلال الوظائف المتعددة التي تؤديها، فهي مركز الحكم أو القوة، فيوجد فيها مؤسسات الدولة من وزارات، وجيش، ومحاكم، ومجالس إنتاجية، وسفارات"[1].

فهي شكل من أشكال التجمعات البشرية ذو كثافة عالية وتنظيم معقد، كما أنها التقاء بين مقومات روحية معنوية وكذلك مقومات مادية، وتعتبر كذلك ذلك الفضاء والوعاء الفيزيقي الذي يتشكل في رقعة جغرافية واحدة يتقاسمه أفراد على اختلاف أعراقهم و أنسابهم، وكذا على اختلاف طبقاتهم الاجتماعية، مكونين بذلك كله ما يعرف بمجتمع المدينة، في مقابل مجتمع البادية أو الريف، ويؤكد جمال حمدان أنها كذلك مكان للتمايز و اللاتجانس والاغتراب وغياب النزعة الجماعية في مقابل التشجيع على النزعة الفردانية،" فهي مكان كبير لدرجة أن الناس لم يعودو يعرفون بعضهم البعض وتمتاز بعدم التجانس بين السكان"[2].

"وتعرف المدينة أنها تجمع من المواطنين يشتغلون ويقيمون علاقات ثانوية داخل هذا التجمع منها الأدارية ويشتمل وسط المدينة على النشاطات التجارية"[3]

كما ارتبط مفهوم المدينة بمفاهيم أخرى تؤدي معه نفس الغاية العلمية والمنهجية وحتى التحليلية، يتمثل هذين المفهومين في التحضر والحضرية، اللذين يعتبران نتاجا لفعل التمدن أو العيش داخل المدن، فالتحضر والحضرية يعبران عن درجتين مختلفتين من العيش داخل المدن بين درجتي الحضرية كنمط للعيش والتي يشترك فيها كل من سكن المدينة في بعدها المادي، وبين التحضر التي تعتبر درجة متقدمة ومتطورة عن الحضرية، فهي تشير إلى نمط العيش متبوعا أو مرادفا للثقافة الحضرية التي تفرضها المدينة والتي هي في حد ذاتها غاية يصعب بلوغها في ظل تقهقر المدن من حيث الممارسة والسلوكات التي تتنافى وروح المدينة، فليس كل حضري هو متحضر، لكن كل متحضر هو بالضرورة فرد حضري، من هنا كان لمحاولة مقاربة دور المدينة في التنشئة الاجتماعية والأسرية على وجه الخصوص بالغ الأهمية.

1-3-التنشئة الاجتماعية:

يشير مفهوم التنشئة الاجتماعية عموما إلى عملية تقتضي تحويل الفرد من كائن بيولوجي معتمدا على غيره في تحقيق احتياجاته إلى فرد اجتماعي يعتمد على نفسه في تحقيق احتياجاته البيولوجية وخاصة الاجتماعية منها عبر اكتسابها من البيئة التي يعيش فيها عن طريق القنوات والمؤسسات التي تعمل على إعداد الفرد مباشرة منذ الولادة وحتى وفاته،هذه المؤسسات التي ترافقه عبر تطور مراحله العمرية من الأسرة مرورا بالمدرسة ومن ثم الجامعة وكذا الاعلام ودور العبادة، بالإضافة إلى جماعة الأقران، فتعرف في علم النفس الاجتماعي أنها العملية التي يتعلم عن طريقها الفرد كيف يتكيف مع الجماعة عند اكتسابه للسلوك الاجتماعي الذي توافق عليه المجتمع، أو هي العملية الاجتماعية الأساسية التي يصبح الفرد عن طريقها مدمجا في جماعة اجتماعية من خلال تعلم ثقافتها ومعرفة دوره فيها[4].

---

[1] حليم بركات: المجتمع العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 1984، ص 229.

[2] جمال حمدان، جغرافيا المدن ، عالم الكتب، القاهرة،ط2، (د ت)، ص 05، ص14.

[3] Dictionnaire de Francais, Edition Auzou,Paris,2005,p487

[4] دحماني سليمان، ظاهرة التغير في الأسرة الجزائرية، رسالة ماجستير، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان،2005-2006، ص76.

كما أن هذه المؤسسات الاجتماعية يختلف دورها ودرجة تأثيرها بحسب خصائص الفرد العمرية و الانفعالية والوجدانية والاجتماعية المحيطة به، وكذا بحسب النظام السياسي والثقافي السائد في أي مجتمع من المجتمعات، فبعض المجتمعات يكون تأثير مؤسسة بعينها أكبر من المؤسسات الأخرى والعكس صحيح، كما أن من المؤسسات ما يرتبط بالفرد منذ ولادته وإلى غاية وفاته كحال الأسرة التي يبقى تأثيرها مستمرا على الفرد ومرتبطا بها مهما ابتعد عنها أو بدى أنه متحررا منها، فهو في نهاية المطاف صنيعة أسرته شاء أم أبى، كما أن ارتباطه بالأسرة يستمر مع الفرد حين يكوِن هو نفسه أسرة جديدة لتستمر دائرة إعادة إنتاج الأسرة.

ومن المؤسسات ما ينتهي دورها بانتهاء مرحلة عمرية معينة، كحال الروضة والمدرسة والجامعة، ومنها ما يبقى مترددا عليها الفرد ويلجأ إليها كلما دعت الحاجة لذلك، كما هو الحال بالنسبة لدور العبادة التي يعتبر الالتزام الديني أحد أهم أسباب التردد والإقبال عليها ، ومن هذه المؤسسات ما يعتبر متغيرا ومواكبا ومتلونا مع تقدم حياة الفرد من الطفولة والمراهقة وحتى الشباب والكهولة، كما هو الحال بالنسبة للإعلام، هذا الأخير الذي يعتبر سمة العصر وعلامة فارقة ميزت المجتمع لما ألحقته من تغير على مستوى الرأي وصنع الاتجاهات الدينية والسياسية وبلورة القناعات حول عديد القضايا والمسائل ذات البعد المحلي والوطني وحتى الدولي، كل ذلك في ضوء تعدد الوسائط والوسائل التقنية والرقمية المتطورة، مما يجعل من وسائل الاعلام اليوم مؤثرا وفاعلا في التنشئة الاجتماعية وما يلحق بها من أبعاد سياسية وثقافية ودينية...الخ، دون الاغفال عن التأثير المباشر لإعلام على منظوم القيم وتشكيل ملامحها.

وبما أننا نركز على التنشئة الأسرية كجزء مهم من التنشئة الاجتماعية، فإن الأسرة تعتبر فاعلا اجتماعيا وتربويا تعزى إليها المسألة التربوية في أكثر مراحل تلقينها أهمية وخطورة أو ما يعرف بمرحلة الطفولة وما يتبعها من مراهقة سواء المتقدمة منها أو المتأخرة، عن طريق تلقين المبادئ الأولية للخصائص الاجتماعية إما تقليدا ومحاكاة أو ترغيبا أو ترهيبا، و بالإنتقال من البسيط الحسي إلى المعقد المعنوي، أو بأسلوب القدوة والأسوة والمثل، وأكثر من ذلك تحرص الأسرة بل من واجبها نقل الثقافة إلى الناشئة عن طريق نقل المنظومة القيمية التي تعتبر محور العملية التربوية والاجتماعية في آن واحد.

2- ملامح التغير في التنشئة الأسرية داخل المدينة:

قبل الخوض في أهم ملامح التغير التي مست التنشئة الأسرية، تجب الإشارة إلى أن المجتمع لا يعرف حالة السكون والجمود وكذا الرتابة، بل هو في تغير مستمر وحركية دائمة بفعل عديد العوامل التاريخية والسياسية منها وكذا الاجتماعية والاقتصادية، مما يحيلنا إلى ضرورة البحث ومقاربة هذا التغير للوقوف على درجته والنتائج المترتبة عنه وكذا العوامل التي تقف وراء حدوثه، ومن بين عوامل التغير نجد عامل التمدن والتحضر الذي ألقى بظلاله على مكونات المجتمع من خلال التأثير على أنساقه المختلفة والتي يعتبر النسق الأسري أهمها، نتيجة العلاقة المباشرة بين الأسرة والمجتمع على اعتبار أن الأسرة هي الخزان الديموغرافي والاجتماعي في تكوين المجتمع، ومن الأسرة تتحدد بشكل كبير ملامح المجتمع خاصة على مستوى المنظومة القيمية التي تدخل الأسرة في تكوينها وتلقينها من جهة ونقلها للأجيال من جهة أخرى، فهي صانع وناقل للقيم في الآن ذاته.

وللوقوف على أهم ملامح التغير الذي مس التنشئة الأسرية نحاول تفكيك هذه الملامح إلى مجموعة من المتغيرات والمؤشرات التي من خلالها يتحدد واقع الأسرة من حيث وظائفها وخاصة ما تعلق بالوظيفة التربوية ومن بين هذه التغيرات نسجل الأبعاد التالية:

2-1-البعد التربوي للأسرة الحضرية:

يجب الانطلاق من مسلمة مفادها أن الأسرة تعرضت لعديد التغيرات نتيجة التحضر وحياة المدن وتبعا لهذا التأثير برزت أنساق جديدة مست وظائف الأسرة وخاصة التربوية منها انطلاقا من الشكل الذي من خلاله تغيرت الأسرة من الشكل الممتد القائم على امتداد الأسرة الواحدة واحتوائها على عدد كبير من الأفراد يمثلون ثلاثة أجيال: الجد، الابن، الحفيد، حيث انتقلت هذه الأسرة إلى الشكل النووي الصغير الذي لا يتعدى الأب والابن، هذا الانتقال على مستوى الشكل و النوع هو نتيجة للتحضر السريع، خاصة على مستوى نمط البناء وكذا الزيادة العددية لساكنة المدن بفعل العامل الديموغرافي بزيادة الولادات وتراجع الوفيات، وكذا الهجرة الريفية من المدن نحو الأرياف،هجرات توصف بالحادة والعنيفة لكونها أثرت سلبا على واقع المدن وغيرت من نمط البناء القائم على السكنات الأفقية أو ما يعرف (بالحوش) إلى النمط العمودي (العمارة) في محاولة لاحتواء الكم الهائل من طلبات السكن.

2-2- تأثير المادي على الاجتماعي:

يعتبر السكن محددا أساسيا يظهر من خلاله حجم التغير الاجتماعي، انطلاقا من الحجم والشكل كما سبق ذكره، حيث فرضت المدينة الشكل النووي الذي هو بدوره فرض نمط السكن العمودي، مما ينعكس على البعد الاجتماعي متمثلا في حجم العلاقات الاجتماعية ودرجة الرباط الاجتماعي الناتج عن هذه العلاقات، خاصة إذا علمنا طبيعة العلاقات الاجتماعية التي سادت داخل السكن الأفقي والتي توصف بأنها ذات ملامح تقليدية خاصة في بيئاتها التقليدية الأصيلة (القبيلة)، دون تجاهل استدعاء هذا النمط التقليدي حتى داخل المدينة كشكل من أشكال المقاومة أو ضرورة من ضرورات التكيف الحضري.

حيث تبرز أهم العلائق بين المادي المتمثل في نمط السكن وبين الاجتماعي وما يدخل في دائرته، إذا اعتبرنا أن البعد الاجتماعي هو نتاج لمجموع من الأنساق الأخرى الثقافية والسياسية، والتربوية خاصة ما تعلق بالتربية الأسرية هذه الأخيرة التي برز تأثير النسق المعماري السكني واضحا وجليا عليها، حيث تحولت التربية الأسرية في أداء وظيفتها بفعل التمدن والتحضر السريع، فلم تعد الأسرة محور العملية التربوية وعصبها الأساسي على اعتبار أنها الوحيدة التي كانت تكفل تربية الأبناء دون منازع نتيجة العلاقة المباشرة بين الأطفال والأسرة خاصة الجد والجدة في المقام الأول، لنجد في المدينة بروز مؤسسات تربوية جديدة وحديثة أفرزتها الحضرية وحياة المدن، فنجد الروضة و الحضانة وكذا المدرسة متبوعة بباقي المؤسسات التربوية في أطوار تعليمية مختلفة المستويات، وتوسع مفهوم التربية ليشمل مؤسسات أخرى كالإعلام والأقران والمسجد والفرق وكذا النوادي والأندية الرياضية، جاعلة من الأسرة حلقة صغيرة لا يكاد يُذكر دورها في خضم هذا الزخم الهائل من منابع ومشارب التربية الحديثة والرقمية، فالكل أصبح يربي كما هو دارج في مجتمعاتنا العربية.

إذا كان السكن العمودي الذي هو سمة حضرية لساكنة المدن يعتبر حتمية حضرية في ظل ظروف الحوج الحضري للسكن والانتقال الاجتماعي من بنية تقليدية إلى أخرى حديثة، فإن هذا السكن قد أعاد ترتيب المكانات الاجتماعية و أولوياتها داخل

المجتمع، إن لم نقل قلب المنظومة الاجتماعية المتعلقة بالأدوار والمكانات خاصة بين الرجل والمرأة، مما انعكس على التربية الأسرية، فتحررت المرأة من النفوذ والسيطرة الاجتماعية التي تمثل سمة و إرثا مهما للبنية التقليدية، وتبعا لذلك تراجعت الهيمنة الرجولية من المشهد الاجتماعي الحضري برغم ما كانت ترمي به من ثقل على التربية الأسرية التقليدية قبل أن يطالها التحضر والتمدن جاعلا منها نقطة مراهنة يمكن أن تُفقد لصالح الحرية وخاصة حرية المرأة ومبدأ المساوة بين الرجل والمرأة التي أصبحت تبدي رأيها في الشأن التربوي وتساهم فيه بعدما كان مسألة محسومة ودورا معاد الإنتاج لا تخرج المرأة على نطاقه" لم يعد الآباء قادرين على الحفاظ على سيادتهم، ساهمت إعادة تشكيل القوانين في تغيير الصورة السلطوية للأب، وعملت وسائل الإعلام على تغيير النظام المرجعي"[1]

لتجد الأسرة نفسها أمام تحديات جديدة فُرضت عليها فرضا وأرغمتها على التنازل عن موقعها التقليدي المتمثل في مهمة الإشراف على مناحي العائلة وأفرادها اقتصاديا واجتماعيا وحتى سياسيا، حيث وفرت المدينة ظروف التمدرس وإلزاميته لصالح الإناث بعدما كان في جزء كبير منه حكرا على الذكور، هذا المستوى الدراسي الذي ينعكس فيما بعد على مكانة المرأة وأهلها لشَغل عديد المناصب التي كانت إلى وقت قريب من نصيب الرجال، مما يثير تبعا لذلك مسألة التربية الأسرية التي تأثرت بشكل مباشر بزعزعة مكانة الرجل في مقابل اعتلاء المرأة للسلم الاجتماعي، فأصبحت مساهمة في الشأن التربوي، وحاولت قدر المستطاع أن تأخذ بأسباب التمدن والتحضر الذي أتاح فرصا ومؤسسات تربوية جديدة وجب الانخراط فيها بقصد تحسين المستوى العلمي والتربوي للناشئة لتبوء مكانات مهمة داخل المجتمع.

كما عملت الأسر على انتهاج أساليب تعليمية جديدة في تربية الأبناء، هذه الأساليب المعتمد على ما توصلت إليه النظريات التربوية والبحوث النفسية والاجتماعية، فانتقلت الأسرة من التربية العفوية الوجدانية إلى التربية المنظمة والعقلانية، عقلانية ما فتئت تسيطر على كامل مفاصل الحياة داخل المدن، كما يصف ذلك "جورج زيمل" المدينة الكبيرة بوصفها فضاء للحرية الفردية، وحلل طبيعة العلاقات الجديدة بين أفراد سكان المتروبول وهي العلاقات المتميزة باللامبالاة والتحفظ الاجتماعي réserve sociale وأصبح الحفاظ على خصوصية الفرد واستقلاليته الشرط الضروري لإقامة علاقات اجتماعية بين سكان المدينة وصارت المدينة الكبيرة عالم العقل والفكر لا عالم القلب والحساسية والعاطفة، فهيمنت العقلانية النفعية والوظيفية على العلاقات الاجتماعية[2].

[1]-Rahma Bourqia, Valeurs et changement social au Maroc,Quaderns de la Méditerrania, 13,2010,105.11

هذا المقال ترجمه إلى العربية محمد الأدريسي، أستاذ السوسيولوجيا، جامعة الحسن الثاني، الدار البيضاء، المغرب،ضمن ترجمات قسم الفلسفة والعلوم الإنسانية، المغرب، 2018 ص08.

[2] عبد الرحمان رشيق، السياسة العمرانية والعلاقات الاجتماعية في المغرب، مجلة عمران، العدد 18، المجلد05، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر، خريف 2016، ص10.

وأضحت بذلك التربية الأسرية تستمد ملامحها من المدينة وما تتيحه من أنماط وأساليب وكذا مؤسسات جديدة تتفاعل قيما بينها لتكوين شخصية الفرد وتسطير معالم مستقبله بعيدا عن املاءات وسلطة العائلة التقليدية التي فقدت الكثير من دورها ومحوريتها في حيا الفرد خاص الوجدانية منها.

2-3- القيم الحضرية والتربية الأسرية:

في دراسته المقدمة لنيل درجة الدكتوراه والموسومة بالتحضر وتأثيره على وسائل الضبط الاجتماعي التقليدي يسلط الباحث "محمد ذرذاري"[1] الضوء على مقاربة سوسيوانتروبولوجية فيما يخص الثنائية المتجددة النقاش حول التقليدي والحديث، أو مصير التقليدي في ظل الحديث، هذا الأخير الذي يدخل في مسمياته الكثير من المفاهيم ومنها التحضر أو التمدن، أما التقليدي فعلى العكس من ذلك، فيدخل في دائرته البنى التقليدية التي تتزعمها القبيلة بكل تمفصلاتها السياسية والاقتصادية وكذا الاجتماعية والثقافية، وبحسب الدراسة، فإن هذه الثنائية بقدر ما هي صراع غير معلن، فإنها كذلك تعبير عن حال التغير التي تعرفها المجتمعات وتعبير عن التعقد القيمي الذي يصاحب الصراع بين الحديث والتقليدي.

كما سلطت الدراسة على واقع القيم داخل المدينة ومن بينها التربية الأسرية، هذه الأخيرة المحاطة بمجوع القيم التي تصاحب واقع و دور الأسرة في الوسط الحضري وترسم معالمها، كما أن هذه القيم هي نتاج للواقع الحضري وما أفرزه من واقع جديدة جعل القيم التقليدية أمام مصير القبول أو الرفض أو التعديل، بحسب درجة الصراع بين التقليدي والحديث.

واستنادا للبحث الميداني التي حوته الدراسة فيما يتعلق بالأسرة الحضرية وخاصة ما تعلق بالتربية الحضرية، فإن مجموعة من القيم ساهمت في التربية الأسرية، هذه القيم الذي كان لعامل التحضر دورا مهما في بروزها ويمكن التعبير عن انعكاس هذه القيم وتداعيتها من خلال بروز قيم التحرر مقابل السلطة وانعكاس ذلك على التربية الأسرية على النحو التالي:

-التحرر في مقابل السلطة:

كما سبقت الاشارة إليه، فإن التحضر قد ساهم في التقليل أو الحد في بعض الأحيان من درجة السلطة الأبوية التي ظلت لوقت طويل تهيمن على المشهد الاجتماعي العربي، حيث نجد اليوم وبفعل التمدن تراجع للهيمنة الذكورية بداية باشراك المرأة في الشأن العائلي ومساهمتها الاقتصادية في العائلة إن لن نقل إسهامها الكامل في تسير شؤون العائلة في الجانب الاقتصادي، هذا الجانب الذي يمكن أن يتطور إلى جوانب أخرى اجتماعية وتربوية نتيجة المكانة والدور الذي أضحت تحوزه المرأة بفعل التغير الاجتماعي الحاصل في المدن، والذي أهل المرأة للخروج للعمل كتعبير عن سمة من السمات الحضرية، هذا الخروج الذي أعاد ترتيب المكانات والأدوار الاجتماعية على الأقل اقتصاديا، في ظل تعقد حياة المدن وكذا الصعوبات التي تواجهها الأسر الحضرية من ناحية المستوى المعيشي الذي أصبحت تلبيته لا تقتصر على الرجل كما هو الحال في البيئات التقليدية، بل تعداه إلى المرأة كضرورة حتمية حضرية تحولت إلى حتمية اجتماعية مع مرور الوقت تقضي بدور المرأة في الحياة الاجتماعية وإشراكها في تربية الأبناء وفق ما تقتضيه معطيات المدينة.

[1] محمد ذرذاري، التحضر وتأثيره على وسائل الضبط الاجتماعي التقليدي، دراسة ميدانية بمدينة آفلو، اطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر،2016/2015

ويشير التحرر كذلك في أحد معانيه إلى الانفلات من السلطة الاجتماعية خاصة في جانبها الغير رسمي أو ما يعرف بالضبط الاجتماعي التقليدي الذي فيه تكون السلطة معنوية تمارس فعلها بطريقة وجدانية على الأفراد وفق الأعراف والتقاليد التي يرتضيها المجتمع التقليدي الذي يفرض كذلك مجموع الجزاءات والعقاب الذي يترتب على مخالفة تعاليم وقيم المجتمع ومن الضبط الاجتماعي ما يقدمه ابن خلدون" ابن في مقدمتها علم أنه قد تقدم لنا في غير موضع أن الاجتماع للبشر ضروري وهو معنى العمران الذي نتكلم فيه، وأنه لابد لهم في الاجتماع من وازع حاكم يرجعون إليه وحكمه فيهم تارة يكون مستندا إلى شرع منَزَل من عند الله يوجب انقيادهم إليه إيمانهم بالثواب والعقاب عليه الذي جاء به مبلغه، وتارة إلى سياسة عقلية يوجب انقيادهم إليها ما يتوقعونه من ثواب ذلك الحاكم بعد معرفته بمصالحهم"[1].

و من بين قيم الضبط وتداعياته على المجتمع هو بقاء المرأة داخل البيت ولا تتعدى حدوده وإن فعلت، فهي تشارك الرجل بعض نشاطاته الزراعية كقوة عمل إضافي يساهم في اقتصاد العائلة والقبيلة ككل، دون أن يؤثر ذلك على تربيتها لأبنائها والقيام على شؤونهم التربوية بشكل كلي انطلاقا من هذه السلطة التي وُجِدت فيها فتعودت عليها فصارت جزءا من كينونتها الاجتماعية التي من أهم مواصفاتها السلطة المزدوجة التي تُمارس عليها من طرف الزوج وكذا العائلة وتمتد إلى سلطة ثالثة متمثلة في القبيلة كضابط أعلى لصيرورة المجتمع وكيانه، وبالتالي فإن التربية الأسرية تتأثر بشكل أو بآخر بهذه السلط الثلاث التي هي تمهيد لجيل الذكور باعتلاء مقام السلطة والهيمنة مستقبلا في دورة اجتماعية تعيد إنتاج نفسها بتعاقب الأجيال، وكذلك الحال بالنسبة للأنثى التي تُؤهل لأدوار ومكانات مجدودة و معادة الإنتاج هي الأخرى.

ومما يمكن أن نستخلصه من واقع التربية الأسرية المبنية على السلطة في المجتمع التقليدي ومقارنتها بنظيرتها في المجتمع الحضري القائمة على الانفتاح يمكن القول أن التربية الأسرية المبنية على مجموعة من الأدوار والمكانات، قد تأثرت بعوامل التحديث والمدنية، حيث تحولت التربية الأسرية من بعدها القائم على الرتابة أو الحتمية الاجتماعية إلى تربية أكثر إنفتاحا قائمة على التنوع وتكافؤ الفرص، بالإضافة إلى إتاحة المدينة أسباب الرقي والتدرج الاجتماعي بفضل ما تتيحه من مؤسسات ومراكز أُوكلت إليها مهمة التنشئة الاجتماعية وصقل واكتشاف المواهب على اعتبار أن المدينة فضاء للإشعاع العلمي والتقني وكذا الفني.

–التربية الحضرية والمسألة الدينية:

يعتبر الدين من بين العوامل التي من خلالها تتحدد الأفعال الاجتماعية سواء كانت أفعالا أو ردود أفعال ومن خلال الدين ترتبط التصورات والتمثلات النابعة من الضمير الجمعي الذي يجد في الدين ضرورة وحتمية تساهم في إعطاء ملامح المجتمع وفق المنظور الديني وحضوره كمعطى ديني واجتماعي نظرا لحجم الارتباط الوثيق بينهما (الديني والاجتماعي)، كما هو الحال في الاسلام الذي يقيم هذه الرابطة من خلال قولبة الممارسة الاجتماعية في قالب ديني، كتحديد العلاقات الاجتماعية وفق الأوامر والنواهي الدينية وكذا التعاملات الاقتصادية والمعاملات الاجتماعية.

يعتبر مفهوم الدين من المفاهيم المعقدة والشائكة خاصة ما تعلق باستعمالاته في الحياة الاجتماعية كضابط لسلوكات الأفراد ومن خلاله تظهر درجة التدين، هذه الدرجة التي بدورها تحتاج لتفكيك معانيها، على اعتبار أنه يشير إلى الكثير من

[1] عبد الرحمان ابن خلدون، المقدمة،تحقيق وتعليق محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، 2005،ص369.

المدلولات والتي من بينها التدين كممارسة عقائدية بين العبد وخالقه وما تمليه هذه العلاقة من ضرورة التوحيد وما يتبعه من التزامات وما تفرضه من علاقات على المستوى الأفقي، أي بين الأفراد وما يشكلونه من علاقات مستمدة من الدين الذي لا يخلوا من البعد القداسي الذي يُكسبه قوتا والتزاما وكذا انصياعا على مستوى التطبيق و الممارسة ، هذه الممارسة التي تُترجم على شكل إحياء للمناسبات والأعياد الدينية أو ما تعلق بالطقوس والاحتفالات ذات البعد الديني، هذه الطقوس والعادات الدينية التي هي في نهاية المطاف تعبير على القيم الاجتماعية في قالب ديني كالتزام وكممارسة كما هو الحال في عاشوراء والمولد النبوي الشريف وعيدي الفطر والأضحى.

وتعتبر الأسرة عبر التربية القناة الأهم لنقل القيم الدينية للأفراد،حيث تساهم في تبسيط القيم الدينية لتسهيل تلقينها واستيعابها تمهيدا لتعوُدها وجعلها جزءا من قيم الفرد وثقافته، دون الإغفال عن دور البيئة التي يعيش فيها الفرد والتي تؤدي عناصرها (البيئة) إلى تسهيل عملية النقل القيمي والثقافي للأفراد، مما يحيلنا على دور البيئة التي تختلف بحسب خصائصها، فيمكن أن نميز تبعا لذلك بين البيئة البدوية ونظيرتها الحضرية، لتبرز الفروقات بين البيئتين وتأثير كليهما على عملية تلقين القيم الدينية وكذا درجة تأثير القيم بين البيئتين، حيث تبرز القيم الدينية أكثر وضوحا في البيئة البدوية من حيث حضورها في الضمير الجمعي للأفراد البدويين سواء على مستوى الممارسة أو التمثلات التي يكونها الأفراد حول القيم البدوية المختلفة، والتي تحرص الأسر البدوية بطبيعتها التقليدية على تلقينها للنشء خاصة ما تعلق بالأضرحة ومسألة الأولياء والصلحاء، وكذا قضايا النسب والشرف التي تبرز كتراتبية يُقر بها الفرد والأسرة ككل داخل النسق القبلي، لتبدوا مسألة الشرف كقيمة دينية مُشاعة بين الأفراد ووفقها تُحدد المكانات والزعامات القبلية التي تنتج دورها زعامات اجتماعية تتحكم في تمظهرات القبيلة وتمفصلاتها المختلفة.

وتبدوا الأسرة في خضم القيم الدينية ذات أهمية في التنظيم القبلي كناقل وضامن لهذه القيم داخل البيئة البدوية،امتثالا والتزاما مسنودة بعامل القداسة الذي يلعب دورا هاما في بقاء وإعادة إنتاج القيم الدينية من خلال ثلاثية القداسة المرتبطة بالإنسان والزمان وكذا المكان المجَسَدة في الضريح كنسق تتمحور حوله وتتشكل عديد الممارسات الاجتماعية والدينية في الآن ذاته انطلاقا من مكونات المخيال الجماعي ورمزيته التي تتعدى حدود الواقع لتعبُر إلى دائرة يختلط فيها الخرافي بالأسطوري بالواقعي وكذا ارتباطات الديني بالدنيوي وصولا إلى تمازج الديني بالاجتماعي وصعوبة تحديد نهاية كل واحد منها ليبدأ دور الآخر، كما هو الحال في طقوس الضريح وطقوس الدفن وحتى الوفاة" ويتمحور الضريح كمؤسسة حول قبر الولي الدفين، إذ تعتبر الأضرحة في الغالب الأعم قبور للأولياء والأولياء الصلحاء أو السادة أو الشرفاء، وكلها أسماء متعددة لمعنى واحد هم شخوص (رجال ونساء) من البشر وأحيانا من الجن يُعتقد أنهم يمتلكون القدرة على قهر الأرواح الشريرة وجلب الخير لمن يرضاهم وإلحاق الشر بمن يسخطهم من الناس وذلك بفضل ما لديهم من بركات"[1].

وبالعودة إلى البيئة الحضرية كعامل من عوامل التأثير على القيم البدوية عموما و الدينية خصوصا وعلاقة التربية الأسرية بذلك، تبرز عوامل التحضر كمعطى دخيل لأصل الممارسة الدينية في القبيلة المتسمة بالصرامة والقداسة، حيث تبرز النزعة العقلانية و الفردانية والنفعية كسمات حضرية اتسم بهم الواقع الحضري وكذا العائلة الحضرية وأثرت على الممارسة والقيم الدينية التي تتسم بالإحياء الجماعي لكثير من الممارسات الدينية تكريسا للهدف الديني الرامي للتجمع والالتقاء بدل العزلة والانزواء.

[1] عبد الغني منديب، الدين والمجتمع، دراسة سوسيولوجية للتدين بالمغرب، افريقيا الشرق، المغرب، 2006، ص150.

وبالرجوع إلى دراسة الباحث محمد ذرذاري وفي قراءة جزئية لبعض النتائج المتوَصل إليها، نجد أن المبحوثين في الوسط الحضري لا يجدون في تلقين القيم الدينية المرتبطة بالضريح ضرورة تحرص عليها الأسرة، وتحرص على نقلها للأجيال، كأننا أمام شكل من أشكال التفلت الاجتماعي الناجم عن انعتاق الأسرة الحضرية من تأثير وسطوة البنية التقليدية ممثلة في الضبط الاجتماعي التقليدي، فانتقلت بذلك الطقوس المرتبطة بالضريح من الديني المقدس إلى الدنيوي الفرجوي الذي يعاد إنتاجه كشكل من أشكال الاختيار وليس الضرورة والالزام، خاصة ما تعلق بطقس "الطعم"[*]، هذا الأخير المرتبط وبشكل لصيق بالضريح.

كما فقدت الكثير من القيم الدينية بعضا من حضورها من مخيال الأسرة الحضرية إن لم نقل جعلت من بعضها مجرد إرث ثقافي وحضاري مرتبط بالماضي دون الإغفال عن عامل صراع الأجيال حين يتعلق الأمر بالمسائل المرتبطة بالقيم الدينية خاصة عند الأسر الممتدة التي تحوي جيل الأجداد وكذا الأبناء والأحفاد داخل الوسط الحضري،كشكل من أشكال المقاومة الاجتماعية بين التقليدي والحديث الذي يندرج ضمنه التحضر كشكل من أشكال تغير الأنماط من طبيعتها البدوية إلى الحضرية التي بدورها حدت من الممارسة الدينية في شقها الطقوسي الاحيائي أو ما يعرف بالتدين الشعبي في مقابل بروز ما بات يصطلح عليه بالتدين السني الذي يضع موقفا من ممارسات التدين الشعبي ومقاومته من خلال عديد أشكال التنبيه والتحذير منه بأساليب الوعي المتاحة اعلاميا ومسجديا وحتى اكاديميا من خلال تعميق الفهم بالتدين السني، حيث يوصف الأفراد الملتزمين بالتدين الشعبي بالمتخلفين والمقهورين" حيث يوسم التدين الشعبي وما يرتبط به من ممارسات بأنه أداة للهيمنة الدينية عن طريق الخرافة والأساطير والمعتقدات الخاطئة، كما تعتبر كذلك وسيلة لممارسة القهر والخوف النفسي" فيتوسل الإنسان المقهور بأساليب عدة للسيطرة الخرافية على حاضره و إدخال شيء من الطمأنينة إلى نفسه والتوازن في حياته، إنه يتعلق ببعض رموز الخير ويتقرب منها بطرق محددة ويخشى بعض رموز الشر والتهديد الوجودي ويلتمس سبيله إلى تجنب أذاها بممارسات محددة أيضا، أما رموز الخير فهي الأولياء وكراماتهم وأضرحتهم، وأما رموز الشر فهي الجن والعفاريت والشيطان، وأما التقرب من الأولى فيتم من خلال الأدعية والنذور والقرابين، وأما تجنب الثانية فيتحقق من خلال السحر والكتابة والتعاويذ والرقي"[1].

حيث امتد هذا النقاش الديني إلى الأسرة وأثر في جانب من جوانب تلقينها الديني للأفراد، كل ذلك بسبب نفوذ هذا التدين السني إلى داخل العائلة خاصة بواسطة الاعلام وشبكات الاتصال والتواصل التي توفرها المدينة وعوامل التحضر، الأمر الذي يصعب تحقيقه في البيئات البدوية التي لا تجد بديلا عن التدين الشعبي إلا ما ندر من قليل الحالات التي تلقت تكوينا في المدينة من خلال الجامعات أو ما وصل إليها عن طريق الإعلام لكنها في الأخير هي حالات تجابه مقاومة شرسة من قبل

[*] الطعم نسبة إلى الطعام، وهوطقس ارتبط في مخيال القبيلة بالديني المقدس بالدرجة ال الأولى أو بمواسم الحرث والحصاد كتمهيد لبداية أو نهاية الموسم الفلاحي، وغالبا ما يتم إحياء هذا الطقس عند ضريح الولي الصالح كشكل من أشكال جلب البركة وطمعا في تلبية كثير من الاغراض والمصالح الدينية والدنوية، ويتخلل هذا الطقس ممارسات اجتماعية كالالتقاء والصلح بين المتخاصمين ويشهد كذلك نشاطات ثقافية مستمدة من الفلكلور الشعبي كالألعاب التقليدية ممثلة أساسا في الفروسية أو ما يصطلح عليه بالفانتازيا"، كما يعتبر الطعم" أو كما يسمى كذلك بالوعدة فرصة للتبادل التجاري من خلال البيع والشراء وغير ذلك، ناهيك عن الملمح السياحي الذي يميز هذا الطقس الذي ذاع صيته وتجاوزت شهرته حدوده الجغرافية والطبيعة إلى مناطق عدة من الوطن بل وخارجه، **أنظر في هذا الصدد:**محمد ذرذاري مرجع سابق.

[1] مصطفى حجازي، التخلف الإجتماعي مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور، المركز الثقافي العربي، المغرب 2005، ط9، ص142.

الشيوخ وزعماء القبائل بقصد المحافظة والتشبث بالتدين الشعبي وما يحويه من ممارسات متعلقة بإحياء الطقوس وتقديسها و الحفاظ عليها.

خاتمة:

لا يمكن الالمام بكل تفاصيل التربية الأسرية وعلاقتها بالقيم سواء الحضرية أو البدوية منها في ورقة بحثية واحدة نظرا لتشعب الموضوع وارتباطاته المتعددة بعديد الحقول المعرفية، مركزين من كل ذلك على تأثير عامل التمدن والحضرية كأحد أهم العوامل التي كان لها بالغ الأثر على المشهد الاجتماعي للأفراد، كما لعب التمدن دورا في بروز التغير الاجتماعي، من خلال الانتقال الذي مس طبيعة المجتمع سواء ما تعلق بالانتقال الجغرافي أو ما يعرف بالهجرة أو الحراك من بيئة بدوية إلى أخرى حضرية انتقالا ماديا، أو انتقال على المستوى الاجتماعي وما تبعه من مستويات ثقافية اقتصادية أو سياسية...الخ.

لنحاول تتبع حجم التغير والكشف عن بعض أوجهه سواء على مستوى التمثل والتصورات أو على مستوى الممارسة والفعل الاجتماعي الذي من الطبيعي أنه ذو مدلولات قيمية مختلفة هي الأخرى طالها التغير بين إلغائها وبقائها أو تكيُفها لتتلاءم مع طبيعة المجتمع الجديد إن صح التعبير، أو الحياة الحضرية التي تعتبر محكا من خلاله تُختبر مختلف القيم والتي من بينها القيم المتعلقة بالتربية الأسرية، هذه الأخيرة التي تعتبر معطى أساسي في التنشئة الاجتماعية برمتها وبمختلف مؤسساتها التي وفرتها المدينة كسمة تُعبر عن تطور المدن واتساع حدودها الاجتماعية والتربوية، في مقابل محدوديتها داخل البيئات التقليدية أو البدوية التي تعتمد تربيتها على الأسرة كفاعل أساسي في التنشئة الاجتماعية، لينتقل دور الأسرة من المحورية والأحادية إلى تعدد المؤسسات التي أضحت تنافس الأسرة في وظيفتها الاجتماعية والتربوية، وبالتالي بروز قيم الابداع والرقي الاجتماعي كنتيجة لتعدد الوسائل وتعدد الأطر والوسائل وكذا المناهج التربوية، في مقابل محدودية الأدوار والمكانات الاجتماعية داخل المجتمع البدوي حيث نجد عامل الرتابة يهيمن على النسق القبلي.

فمن خلال مجموع المقارنات بين كلا المجتمعين البدوي والحضري تتجلى حجم الفروقات بينهما وهذا ما أثبتته عديد الدراسات والأبحاث التي تشترك في استخلاص عديد الفروقات التي تعتبر سمة مميزة للمجتمعين بالإضافة إلى دراسة الباحث محمد ذرذاري، والتي تعتبر هذه الورقة قراءة لبعض نتائجها خاصة ما تعلق بالبعد المرتبط بالقيم وتأثير عامل التمدن عليها ممثلة أساسا في القيم التربوية والاجتماعية وكيف بدا التأثير جليا بين المادي المتعلق بالسكن الحضري و الاجتماعي الذي يعبر عن مختلف المحمولات والرساميل المتوارثة والتي وصلت إلى الأجيال بفعل عملية الانتقال القيمي، إضافة إلى القيم المرتبطة بالمسألة الدينية، والتي تعتبر في حد ذاتها موضوعا يحتاج إلى جهد علمي لتفكيك ماهيته خاصة ما ارتبط بالممارسة وعلاقتها بالمقدس وكذا الجانب المتعلق بالبعد التعبدي العقائدي.

ومما يكن تأكيده هو علاقة المسألة الدينية بالبيئة سواء كانت حضرية أو بدوية، حيث تبرز ملامح الالزام وسيطرة المقدس أكثر وضوحا في البيئات التقليدية نظرا لسيطرة وسطوة الهيمنة التقليدية عبر مؤسساتها ممثلة في القبيلة وما تفرضه من أساليب ضبطية ذات ملامح غير رسمية، في حين تخِف وطأة هذه السلطة بفعل عوامل التمدن والحضرية التي أتاحت فرص التكوين والتعليم وكذا الوعي الديني الذي أنتج ما يعرف بالتدين السني الذي يرفض أشكال التدين الشعبي ويقف منها موقفا مخالفا لها وخاصة ما تعلق بالطقوس والمناسبات التقليدية المرتبطة بالضريح والولي الصالح، على اعتبار أنها شكل من أشكال التخلف

الاجتماعي الذي وجب الوقوف في وجهه والتصدي له عبر قنوات التوعية والتوجيه التي لا تستثني مؤسسة الأسرة كفاعل تربوي وتوعوي في نفس الوقت.

برغم من كل أشكال الاختلاف والفروقات المستخلَصة حول المجتمعين الريفي والحضري وخاصة ما تعلق بالتربية الأسرية، إلا أن ذلك لا يمنع من بروز ملامح المقاومة الاجتماعية التي تقف فيها القيم التقليدية في خط دفاع أمام محاولات التفكيك والتفتيت التي تتبناها عناوين مختلفة وبمسميات حداثية يدخل في فحواها التمدن والتحضر الذي يسعى إلى التغيير المادي متبوعا بالتغيير الاجتماعي ممثلا في المنظومة القيمية، التي يبدوا أنها لم تفقد ملامحها التقليدية بفعل عوامل المقاومة وكذا صراع الأجيال الأمر الذي نتج عنه أزمة قيمية تحيلنا إلى تكثيف البحث والتقصي من أجل مقاربة أشمل لحركة المجتمع الدائم التغير، كل ذلك في إطار جدلية التقليدي والحديث، هذه الجدلية القديمة المتجددة تجدد النقاشات والبحث في فحواها وماهيتها وكذا معطيات لحظتها الراهنة.

قائمة المصادر:

1–قرآن كريم، سورة الروم.

قائمة المراجع باللغة العربية:

1- جمال حمدان، جغرافيا المدن، القاهرة، ط 2، عالم الكتب، (د ت).

2- هشام شرابي، لبنان، مقدمات لدراسة المجتمع العربي، الدار المتحدة للنشر، ط3، 1984.

3- حليم بركات، المجتمع العربي المعاصر، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 1984، ص 229.

4- محمد سعيد فرج ، البناء الاجتماعي والشخصية، الإسكندرية، الهيئة العامة للكتاب، 1980.

5- مصطفى حجازي، التخلف الإجتماعي مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور، المغرب، المركز الثقافي **العربي، ط9، 2005**.

6- عبد الرحمان ابن خلدون، المقدمة، القاهرة، تحقيق وتعليق محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، 2005.

7- عبد الغني منديب، الدين والمجتمع، دراسة سوسيولوجية للتدين بالمغرب، المغرب، افريقيا الشرق، 2006.

المقالات:

8– العياشي عنصر، الأسرة في الوطن العربي من الأبوية إلى الشراكة، مجلة عالم الفكر، العدد 03، المجلد36، يناير–مارس، الكويت.

9– عبد الرحمان رشيق، السياسة العمرانية والعلاقات الاجتماعية في المغرب، مجلة عمران، العدد 18، المجلد05، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر، خريف 2016.

رسائل جامعية:

10– محمد ذرذاري، التحضر وتأثيره على وسائل الضبط الاجتماعي التقليدي، دراسة ميدانية بمدينة آفلو، اطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر،2016/2015

11– سليمان دحماني ، ظاهرة التغير في الأسرة الجزائرية، رسالة ماجستير، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان،2005–2006.

مراجع باللغة الفرنسية:

12-Rahma Bourqia, Valeurs et changement social au Maroc,Quaderns de la Méditerrania.
13-Dictionnaire de Francais, Edition Auzou,Paris,2005.